محاضرات في فلسفة العلوم للسنة الثالثة فلسفة للموسم الجامعي 2019-2020،

إعداد الأستاذ: " العالم عبد الحميد

*ليفي-ستروس (كلود) [1908-2009] Lévi-Strauss (Claude)

- جينيالوجيته المعرفية وأهم أعماله:

باحث أنثروبولوجي وعالم سلالي فرنسي، من التيار البنيوي، وبخاصة البنيوية الألسنية. اشتهر بأبحاثه على المجتمعات البدائية أو لاكتابية كما يفضل تسميتها، لأن كلمة 'بدائية' غير بريئة وهي عنصرية، غرضها الإساءة لهكذا مجتمعات التي يرى فيها ناعتوها بـ 'البدائية' دلالة على التخلف الذي ترمز له وتعكسه، وهو وصف يطلق حتى من قبل أولئك الباحثين الذين قاموا بدراسات حولها من أمثال "ليفي برول"، هو ما يرفضه "ستروس" بشدة، كما سنتبينه فيما بعد. بعد أن أخذ تكوينا فلسفيا في "باريس"، ذهب إلى البرازيل وقام بعدة بعثات لإجراء دراسات دانية عن بعض المجتمعات هناك، لتتوج بكتابه (مدارات حزينة). في فترة الحرب العالمية الثانية، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قى عالم اللسانيات الأمريكي ذا الأصول الروسية "رومان جاكبسون" مؤسس الفونولوجيا (علم وظائف الأصوات الكلامية)، الذي أطلعه على رق الألسنية البنيوية. عاد إلى فرنسا بعد نهاية الحرب، ونشر كتابه (البنيات الأولية للقرابة) الذي يوظف فيه البنيوية في دراسة الأنثروبولوجيا . ي سنة 1958، تم تعيينه في الكوليج الفرنسي، أين كرس وقته لدراسة الأساطير والسلوكيات الدينية.

وعن روافده المعرفية، يفصح "ليفي ستروس" عن استلهامه من شخصيات فكرية عديدة، وعن تشربه لبعض الأفكار والمعلومات التي استقاها ن اطلاعه على بعض المباحث، فضلا عما غرس فيه من حس وتهذيب فني يعود الفضل فيه إلى بعض من أفراد عائلته، إذ كشف عن كل ذه الروافد في حوار له مع جريدة 'الملاحظ الجديد' le nouvel observateur، حيث يقول: <<...إنهم ماركس، فرويد، دو سوسير، اكبسون، بنفنيست، علاوة على بعض مبادئ الجيولوجيا وعلم النبات وتربية فنية تلقيتها من أسرة كانت تحصي الكثير من الفنانين>>. وقد ص "روسو" ، و"ماركس" و"فرويد"، كأكثر المرجعيات التي تأثر بها. وهو ما عبر عنه بقوله: <<إنهم أرادوا أن يبينوا لنا أن عملية الفهم، إنما حصر في رد نمط من الواقع إلى نمط آخر، وأن الواقع الحقيقي لا يكمن في الواقع الظاهري إطلاقا، وأن طبيعة الحقيقة مستترة>>. لقد كانت قولة السحرية التي سيكتشفها "ليفي ستروس" من جديد هي قولة 'البنية'، بعدها ذات طبيعة باطنية، وتشكل ضربا من العقلانية. يعتبر ستروس" وبلا منازع مؤسس الأنثروبولوجيا البنيوية والمنهج البنيوي ومنظر متميز في شؤون المجتمعات اللاكتابية.

لقد ترك العديد من المؤلفات، منها:

البنيات الأولية للقرابة- 1949. - العرق (السلالة) والتاريخ- 1952. - مدارات حزينة- 1955. - الأنثروبولوجيا البنيوية1- 1958. - يئ والمطبوخ- 1964. - الطوطمية اليوم- 1962. الإنسان البري- 1971. - الأنثروبولوجيا البنيوية2- 1972.

لا ريب أن منجزات "ليفي ستروس"، منذ إصداره لكتابه (البنى الأولية للقرابة)، لا تزال ينظر إليها على أنها رائدة في ميدان الأنثروبولوجيا دراسة الأساطير، والفكر والثقافة عموما. لذلك، فهو يعد منشئ النظرية البنيوية في العلوم الاجتماعية، والسباق إلى تطبيقها في حقل أنثروبولوجيا. غير أن أعماله العلمية لا تنحصر فقط في المجال الأنثربولوجي، بل تتعداه لتشمل المجتمع والفكر والثقافة –كما سبقت الإشارة ذ قليل–. لذلك، ذهب البعض إلى القول بأن الفكر البنيوي برمته لا يمكن إدراكه وتعينه بدون "ليفي ستروس" وبعيدا عنه. بل هنالك من ذهب ذهبا قصيا لا يخلو من شطط، حين جزم بأن البنيوية ليست سوى "ليفي ستروس"، وبمعزل عنه فهي لا شيء. فكيف ظهرت؟ وما هي أبرز صائصها؟

– في البدء: البنيوية:

لقد كانت البنيوية ومنذ بدايتها حركة فلسفية وعلمية واسعة، ظهرت في الخمسينيات من القرن العشرين، شملت العديد من العلوم والشعب معرفية، وطرحت منظورات ومقاربات جديدة لشتى القضايا والمشكلات التي كانت الفلسفات السائدة في ذلك الوقت تعمل على تثبيتها وتكريسها، سائل المعنى والحقيقة في الظواهرية، والتأويلية والتاريخ والأيديولوجيا في الماركسية، ومسائل الذات والالتزام في الوجودية، فضلا عن مسائل تاريخ والعلم في الابستمولوجيا. وتعتبر البنيوية رد فعل قوي على فشل التيارات الفلسفية السابقة لها آنذاك، متصدرة إياها ومزحزحة لها، وعلى سها الماركسية والوجودية، وذلك نظرا لعجز الحركة الماركسية عن مواكبة التقدم العلمي. وحتى مسعى "سارتر" في كتابه (نقد العقل الجدلي)، يث حاول تجديد الاتجاهين الماركسي والوجودي، مدعيا أن الوجودية أفق فلسفي ليس بالمستطاع تجاوزه، غير أن محاولته آلت إلى الفشل. المقابل يرى "ليفي ستروس" في كتابه (الفكر البري) بأن الفكر البنيوي فكر تحليلي وليس جدليا. ولذلك، يمكن القول بأن البنيوية قامت على ناض الوجودية والماركسية. وقد وجدت في التوجه الابستمولوجي الباشلاري ضالتها، لأنه منحها المفاهيم الأساسية لتفكير العلوم الإنسانية.

وبخصوص الجدل حول البنيوية: هل هي منهج أم نظرية؟، فإن أغلب الآراء تصب في اتجاه التأكيد على أنها أداة أو وسيل لمعالجة وحل ختلف المشكلات. ولذلك، يحاول أنصارها النأي بها عن الايديولوجيا، بما يجعلها منهجا لا نظرية، أو على الأقل، أكثر مما هي نظرية. وقد عتمدت على نموذج اللسانيات عند "ألفرد دوسوسير"، وهذا يتضح من خلال نموذجه (دروس أو محاضرات في اللسانيات العامة).

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ظهرت نزعة تربط بين اللغة والمنطق متمثلة في جماعة "بور رويال"، ويأتي "بنفنيست" ليؤكد أن ولات اللغة هي مقولات منطقية ضمن منظور آخر. مع القرن الثامن عشر، بزغ ما يعرف بالفيلولوجيا (أو فقه اللغة) بقيادة "أ.وولف"، ليتم أسيس لما يسمى بالمقارنة بين اللغات، عن طريق ما يعرف بالفيلولجيا؛ وقد أنجز هذا الأمر عندما حدث اكتشاف مهم من طرف الانغليزي سير وليام"، حينما اطلع على اللغة السنسكريتية كأصل لليونانية واللاتنية، ليعمد إلى تصنيف اللغة إلى أصلين: آرية وسامية. زلكن ما الفائدة ن كل هذا؟

لقد اعتمدت النزعة الفيلولوجية الدراسة التاريخية للغة لمعرفة تطور المفاهيم والألفاظ، وما يحدث لها من تحولات وتغيرات سواء على مستوى صوت أو المعنى. وقد نادت الفيلولوجيا بفكرة أساسية ألا وهي ضرورة تحقيق النصوص، الأمر الذي أفضى إلى ظهور الحركة الاستشراقية، ما كان له أثر كبير وجد إيجابي على ثقافات شتى. لكن، كيف استقبل البنيويون، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم رائد البنيوية اللغوية "دوسوسير" ذه الطريقة في المعالجة التي اعتمدتها الفيلولوجيا؟

لقد انتقد "دوسوسير" هذه النظرة المتبناة من الفيلولوجيا، ناظرا إلى المسألة اللغوية من زاويتين: أولها، أن اللغة لا تدرس في علاقتها بالأشياء أخرى، والنقطة الأخرى أو النقد الآخر، إنما يتعلق بالمنهج، إذ يشدد على أن دراسة اللغة دراسة علمية يقتضي ويستوجب القطع مع الوضع تاريخي لها، فينبغي أن نتناولها وندرسها كما هي، تماما مثلما تدرس العلوم الأخرى ظواهرها. فاللغة حاضرة مع الإنسان وكما يستعملها. بالتالي، فمن الضرورة بمكان تناولها تناولا وصفيا، ومن ثم إعطاء الأولوية للتزامن على حساب التعاقب أو للوضع السينكروني على حساب وضع الدياكروني. –وهو ما سيأخذ به "ليفي ستروس" في أبحاثه الأنثربولوجية. فالطرح السوسوري يتميز بالتأكيد على دراسة اللغة في ذاتها، لا في علاقتها بالأشياء والظواهر الأخرى. فعندما نقول، مثلا، ذهب "أحمد" إلى السوق، فنحن لا يهمنا مدلولها أو معناها، بقدر ما يهمنا تركيبها، في كونها بنية. وهو ما تحاول البنيوية استغلاله، لتلح وتشدد على أن العلوم الإنسانية إذا ما أرادت أن تتقدم، فعليها أن تدرس ظواهرها كما هي، كما كانت، أي معاملتها في حيز الراهن والحاضر، لا في مستوى أو حيز الماضي والتاريخ.

وعن البنيوية ودلالتها، فإن من بين الأبحاث التي خصصت للبنيوية هي تلك التي حملت عنوانا له أكثر من دلالة، وهو (ما البنيوية؟) ففي هذه الدراسة نقرأ تعريفا للبنيوية، مفاده إنه إذا كانت كلمة 'البنيوية' تعني شيئا معينا أو تستجيب لشيء ما فإنها تعني طريقة جديدة في طرح وتفسير المشاكل التي تتناول وتناقش العلامة، وهي طريقة بدأت مع "دوسوسير". وهكذا، فقد تبلورت وبرزت كتوجه منهجي ونظري. على سبيل المثال، "ليفي ستروس" له منهج بنيوي، ولكن له نظرية في القرابة تقوم على التبادل الذي يظهر في ثلاثة أشكال: السلع، النساء والرسائل (المبثوثة في اللغة كوسيلة للاتصال والتفاهم). وكان كتابه (الأنثربولوجيا البنيوية) عبارة عن محاولة منهجية للكشف عن الأبنية أو البناءات العقلية الكلية كما تتجلى في أنظمة القرابة والأبنية الاجتماعية الكبرى؛ ناهيك عن الأدب والنقد الأدبي والفلسفة والرياضيات.

إنه ومذ ذاك، فقد اتخذت البنيوية صورا متعددة في النظرية والمنهج، وعلى الرغم من الاختلافات الكبيرة بين ممثليها وأقطابها إلا أنها تظل وحدة ومتقاطعة في جوانب أو نقاط، لعل أبرزها، اللغة، والمصطلحات ذات الجذر الإنساني والرمزي، والاهتمام بحقول معينة داخل العلوم الإنسانية وبالموقف المنهجي القائم في تفسير الحوادث على أساس تواقتي أو تزامني، وهو ما جعلها –كدأب أي مجهود بشري، سيما إذا كان له ملامح فكرية وأبعاد فلسفية– محل نقد واعتراضات من قبل الكثير من الاتجاهات والتيارات.

وكما سبق القول، فإن أهم ما يسم ويميز البنيوية بوجه خاص، هو ارتكازها على اللسانيات البنيوية، وهو أمر يرجع إلى عوامل أساسية وضحها "ليفي ستروس" بالقول، أن اللسانيات البنيوية، إنما حققت تميزها وذاتها لعدة أسباب، منها: لأنها تدرس موضوعا عاما، إذ لا يوجد مجتمع بشري بلا لغة؛ ولأن منهجها متماثل، بمعنى أنه يمكن اتباع نفس المنهج في دراسة أية لغة قديمة كانت أو حديثة؛ ولأن هذا المنهج يعتمد على بعض المبادئ الرئيسية التي لا يختلف حولها الباحثون والمتخصصون. فماذا عن المقاربة الستروسية؟

– معالم مقاربة "ليفي ستروس":

لا شك أن بعضا من خطوط وملامح الطرح الستروسي، قد تمت الإشارة إليها فيما تقدم، ولعل أهمها المنهج البنيوي والخاصية الأساسية المتمثلة في التناول التزامني، لا التعاقبي، للغة كما تركز وتؤكد عليه الألسنية البنيوية. وهو ما سيعمل على مقاربته وتطبيقه في دراساته الأنثربولوجية، وفي نظرته لعلوم الإنسان. يقول "ستروس" في مؤلفه (الأنثربولجيا البنيوية): <<ينبغي علينا أن نشرع في نقد ابستمولوجي لعلومنا، علين بذلك أن نستخلص من تنوعها وتباينها التجريبيين عددا بسيطا من المواقف الأساسية التي يساعدنا وجودها أو غيابها أو تداخلها على توضيح خصوصية كل علم وتكامله مع العلوم الأخرى>>. لقد أرادت البنيوية أن تعلن عن مشروع جديد للعلوم الإنسانية. والنقد الابستمولوجي

ذي جاهر به "ليفي ستروس"، إنما يمس المشاكل الأساسية في العلوم الإنسانية: النموذج المعرفي الذي يحتم اعتماد اللسانيات اللغوية، وعلاقة ذات بالموضوع (ضرورة الموضوع، لأن الذات تشكل عائقا –كما سنرى–)، ومشكلة العلاقة بين النظرية والتطبيق. لماذا يقول "ليفي ستروس" علوم الإنسانية ولا يقول بالعلوم الاجتماعية؟

يمارس "ستروس" تمييزا بين النوعين، من جهة أنه يصنف ضمن العلوم الاجتماعية: القانون، السياسة، الاقتصاد، علم الاجتماع وعلم النفس لاجتماعي. أما العلوم الإنسانية فيدرج تحتها: التاريخ وما قبله، وعلم الآثار، والأنثربولوجيا، واللسانيات، والفلسفة وعلم النفس. وفي كلتا الحالتين، نهما يحاولان محاكاة نموذج العلوم الطبيعية أو بالأحرى الدقيقة. ويتمثل الفرق بينهما في أن العلوم الاجتماعية تهتم بالمشاهدة والتجريب تقصي الميداني، أي أنها يغلب عليه الطابع العملي التطبيقي، في حين أن نظيرتها الإنسانية، تعنى بالنظريات والأعمال الابداعية. وينوه ستروس" بأن هذه التفرقة ليست حاسمة، بقدر ما هي منهجية، من منطلق أن كل ما هو اجتماعي إنساني، والعكس بالعكس. ولما كانت الأولى تهتم بالفرد كفرد، بل بالجماعة أو الجماعات، وكانت الثانية تهتم بالفرد أو الأفراد، فإنه لا يمكن الجمع بينهما وصهرهما في واحد أو تعويض داهما بالأخرى.

إن هذه التفيئة المنهجية تتكشف عن المعيارية الخاضعة للعلوم الطبيعية، والذي تسعى هذه العلوم لأن تأخذ نموذجها منها. ولكنها تبقى تواجه شكلة أساسية تتمثل في عدم قدرتها على تجسيد الشروط العلمية التي توصلت إليها علوم الطبيعة، لاسيما القدرة على التحقيق والتكميم، لإضافة إلى النتائج الميدانية التي تحرزها، وذلك طبقا لمبدأ الموضوعية.

إن مشكلة العلوم الإنسانية من وجهة نظر "ليفي ستروس" هي مشكلة الإنسان، باعتباره كائنا يهتم أكثر بذاته. لذلك، فهو يعتقد أن هذه العلوم اني من مشكلة أساسية ألا وهي حضور الوعي أو الذات التي يجب أن تعوض باللغة. وحينما يحدث "ستروس" عن الذات، فإنما يقصد عي، ذلك العدو الخفي أو السري للعلوم الإنسانية، سواء على صعيد الوعي التلقائي والمحايث للموضوع أو الوعي المتأمل أو وعي الوعي لدى احث العلمي. ومن هنا، يعتقد "ليفي ستروس" بأن أي تحديد صائب للعلوم الإنسانية، ينبغي أن يجردها من سمتها الإنسانية وينزعها عنها، تي سعى "فوكو" لأن يرفعها إلى أبعد حد، ليقول بموت الإنسان. يقول "ستروس": << يتبين لنا أنه كلما أفلحت العلوم الإنسانية في تحقيق جاز علمي بالفعل، كلما صار هذا التمييز لديها بين ما هو إنساني وما هو طبيعي باتجاه التضاؤل حتى إذا قيد لها أن تصبح علوما ناجزة، دت تمايزها عن العلوم الأخرى.ومن هنا،هذه المعضلة التي لم تجرؤ العلوم الإنسانية بعد على مواجهتها،فإما أن تحتفظ بأصالتها وتنصاع إلى ارض الوعي والاختبار،الذي يصبح والحال هذه مستعصيا عن الحل،وإما أن تطمح إلى تخطي هذا التعارض. لكنها تضطر عندئذ إلى التخلي ن احتلال موقع خاص في نسق العلوم،وتسلم –إذا جاز التعبير– بالدخول إلى الحظيرة>>.

ومن أجل تجاوز هذا العائق المتمثل في الطابع أو الخاصية الإنسانية لهذه العلوم، يستلزم الأمر استئصال ذلك العدو السري، كما لابد على علوم الإنسانية أن تبدل وظيفتها وهدفها، فعوضا عن قيامها بتأسيس الإنسان وذاته أو وعيه، عليها أن تجتثه وتقضي عليه. و"ليفي ستروس" لا قد الأمل في إمكانية بناء العلوم الإنسانية وجعلها مناظرة للعوم الطبيعية، ولكن ليس على الطريقة الوضعية، فليس المطلوب أو المراد هو ميم مقولات الطبيعيات –خاصة النموذج الفيزيائي– . فأول وأمضى مؤشرات وبوادر الحل كما يؤكد ويلح عليه "ليفي ستروس"، إنما يحصل تأتى –كما قلنا ونكرر– بحل وفض مشكلة الإنسان، أي ذلك الكائن الذي يعتد أكثر بذاته. ولذلك، فهدف العلوم الإنسانية –بحسبه– ليس أن

ون الإنسان، ولكن أن تعمل على تذويبه وتفكيكه. وبهذا يتم دمج الثقافة في الطبيعة والحياة في مجمل الشروط الفيزيقية والكيميقية. أو هكذا اء في إحدى صفحات كتابه (الفكر أو الذهن البري).

– العلوم الإنسانية: من الوعي (أو الذات) إلى العلامة:

يسلم "ليفي ستروس" بأن العلوم الإنسانية ليس بمقدورها أن تخرج وتتخلص من مشكلة الوعي، ومن ثم الإنسان إلا عندما تتبري لدراسة نتاج نسان، بمعنى لغته، لأن كل آثاره تتجلى وتتلخص في اللغة، أي 'العلامة'. وكما قال أحدهم: <<البنيوية تدرس وتهتم بكل ما له علاقة علامة>>. وعليه، فحل مشكلة العلوم الإنسانية يتم عن طريق دراسة العلامة. فلا يجب أن نذهب مذهب الظواهرية في معالجة مشكلة العلوم نسانية، ولا أن نسلك مسلك المعالجة الوضعية (وهو نقد موجه لدوركايم)، فالمخرج أو الحل الأمثل –من منظور "ليفي ستروس"– هو الحل ساني.

وكمثال على ذلك، نأخذ الأنثربولوجيا، يقول "ستروس": <<لا يمكن للأنثربولوجيا إلا أن تكون بنيوية، خصوصا إذا أرادت لنفسها ألا تبقى يرة للمعرفة التجريبية، وإذا حرصت في الوقت نفسه على الاستعاضة عن نمط التفسير السببي القائم على نمط التعاقب بنمط التفسير البنيوي ائم على مفهوم النسق والتزامن>>. وبذلك تستبعد الأنثربولوجيا البنيوية الطرح التاريخي، لعدة اعتبارات: منها كونيته وعموميته وزمانيته، وهي واصفات لا تحبذها الأنثربولوجيا البنيوية التي تستهدف استجلاء البنيات التي تتحكم في الحدث التاريخي، ما يجعل منها علما، دونا عن تاريخ. ويبرر "ستروس" موقفه، استنادا إلى أن التاريخ فاعلية تهتم بدراسة المجتمعات التي نعيش فيها، في حين أن الأنثربولوجيا تتناول دراسة المجتمعات التي لا نقيم فيها، والفارق يكمن في أن الأول يتقصى المجتمعات البشرية في الزمن وتبحثها الثانية في المكان. فالتاريخ يعيد شكيل المجتمعات السالفة والمشابهة للحاضر، في الوقت الذي تعيد فيه الأنثربولوجيا تركيب المجتمعات القديمة، وطالما أن العلم في منظور نيوية يتأسس على الأمكنة، وعلى المعالجة التزامنية، لا التعاقبية أو التاريخية، فإن الأنثربولوجيا هي التي تحقق مواصفات العلمية، بخلاف تاريخ الذي يعتمد على الزمن أو التعاقب وتوالي الأحداث، ما يفقد التاريخ الطابع العلمي.

ولا يكتفي "ليفي ستروس" بالاعتراض على علمية التاريخ، بل يتعداه إلى نقده من زاوية نظرية، معتبرا أن التاريخ هو دوما تاريخ من أجل، ما جعله متحيزا ومنحازا باستمرار، فالتاريخ لا يحوز موضوعا قائما بذاته، فموضوعه قاسم مشترك بين كافة العلوم الإنسانية، وبلا شك لأنثربولوجيا البنيوية المنزلة التي هي جديرة بها، والتي لا بد أن تحتلها على حساب التاريخ. وعندما يدعي التاريخ المعرفة بالزمانية، فإنه لا صادر سوى على وهم كبير، لا لشيء إلا لأن الزمانية لا تزيد عن كونها انعكاسا وترجمة لإرادة المؤرخ في نسجه وصناعته للكرونولوجيا، وهي ي واقع الأمر لا تعدو أن تكون انفجارات وتقطعات، وحينها ما الذي يتبقى من التاريخ؟ إنه يصير مجرد نشاط في تكديس ومراكمة المعلومات بيانات، وأهمية هذا النشاط، إنما تتمثل في <<استخدامه كمصدر للمعلومات وهو يستغل كمنطلق للتحليل البنيوي، ولا يمكن أن ينطوي على ي طابع للمعقولية >>. والمعقولية المرادة هنا، ليست أكثر من بلوغ الكشف عن البنى الثاوية خلف الظواهر، والتي يتعذر على التاريخ أن يتكفل ا، ولكن يتكفل بها مبحث علمي آخر ألا وهو مبحث الأنثربولوجيا البنيوية.

وبالعود إلى العلامة كموضوع أساسي للعلوم الإنسانية، والذي أصبح حلا لها، فلا نجد أحسن من اللسانيات البنيوية التي تسمح بدراسة علامة، سواء تعلق الأمر بالمرأة أو البضاعة أو اللغة (الرسائل). وكل هذا تلخصه الأساطير والتي تعكس في ذاتها علامات أو رموزا أساسية مجتمعات البدائية، أو على الأصح، اللاكتابية بلغة "ستروس"، ودراسة هذه الأساطير لا يمكن أن تكون إلا وفق المنهج البنيوي. يقول

ستروس": <<لابد لنا من أن نضع في اعتبارنا، سواء كنا بصدد دراسة لغوية أم بصدد دراسة اجتماعية أننا في أعمق أعماق الرمزية>>. لرمز لا يقصد به الرمزية الأدبية، إنما يقصد به الأشكال الرمزية التي تركها الإنسان وخلفها، سواء كان سحرا أو طقسا أو لغة أو دينا. ودراسة رمز لا يمكن أن تتم بدون اللغة، فكل شيء يتجسد في اللغة وعبرها.

لقد تبين لستروس أن الموضوع المحوري أوالمركزي للعلوم الإنسانية لا يكمن في الإنسان بل في النتائج والآثار المترتبة عن استجاباته صرفاته، باعتبارها رمزية وعلامية، ومن ثم فإن دراسة هذا الرمز لا يكون إلا وفق الألسنية البنيوية التي تسمح بكشف هذه البنيات والرموز فسيرها. ومنه، فإن دور الأنثربولوجيا البنيوية هو جعل الحياة الاجتماعية حياة رموز ممكنة وضرورية، وإذا كان الحدث الاجتماعي رمزا فهو شعوري، لذا فإن أهمية الأنثربولوجيا البنيوية تكمن في كشفها عن البنيات اللاشعورية في حياة المجتمع، والتي تتكون من بنى وأنساق، كأنساق رابة، والاقتصاد والأساطير إلخ...

وبناء عليه، من الضروري أن نقول أن "ليفي ستروس" عندما أدرك الإرث اللغوي الذي انتهى إليه من منافذ ومنابع متعددة، سعى إلى ستثماره إلى أبعد حد ممكن، إذ كان مقتنعا بله متيقنا أن اللغة تؤلف الأنموذج العلمي الذي ينبغي للأنثربولوجيا أن تسترشد به. وبدون تردد، شر "ستروس" عمله الميداني في مجال الأنثربولوجيا ببحث وتقصي المجتمعات البدائية –أو اللاكتابية، كما يفضل أن يسميها– في البرازيل حديدا، حيث وجد أن واقعها لازماني، سمته وميزته الأبرز إعادة إنتاج نفسه في عملية اجترارية أو تكرارية غير متناهية.

وبعد متابعات وملاحظات عيانية ثاقبة، وظف فيها قدرته الفلسفية الأولى في الاستدلال المجرد، والبحث عن الثابت العقلي الثاوي وراء ظاهرة، توصل إلى ما فحواه وخلاصته أن هذه الشعوب أو المجتمعات ليست بدائية –على عكس ما ذهب إليه "ليفي بريل" في تقسيمه الثنائي مجتمعات اعتمادا على مسلمة أساسية تتكئ على المنطق كموجه محوري، مستخلصا بأن المجتمعات المتحضرة منطقية، بينما نظيرتها الأولية لبدائية) هي لا منطقية– بل لها منطقها الخاص الكامن في بنيتها اللغوية اللاشعورية الكامنة بدورها في الأسطورة التي كانت قبل استقصاءات تحديدات "ليفي ستروس" الجديدة مجالا هلاميا مهملا لا دلالة له، غير أن هذا الأخير وجد فيها نظاما سببيا خاصا يمليه ويحركه منطق رمزية اللاشعورية بجلاء وعلمية لا يقلان البتة عن جلاء المنطق العلمي وصرامته الميثودولوجية. صحيح أن الملمح والوجه الخارجي للأسطورة ظاهرها، مثلما يقرر "ستروس"، يختزن مضامين متكررة بسيطة، غير أنها في الحقيقة تعمل وفق منطق داخلي لا يخلو من التعقيد، له لغته نيته. وبالتالي، فالأساطير ليست مجرد أحاجي وحكايات وهمية يعاد ترديدها وسردها من باب الترفيه والترف، بل هي محاولات جادة وحاسمة عالجة وحل التناقضات الأساسية التي تسم الوجود الإنساني: التناقض بين الحياة والموت، بين الخير والشر، بين الذات والآخر، بين الطبيعة ثقافة، بين الزمن والسرمدية... وما إلى ذلك.